

بيوت ربا، فلا يسلم من يتعامل معها. وأيضاً تضخم الأموال بأيدي الناس يجرهم إلى الربا؛ لأنهم سيتعاملون مع العالم فيقعون في الربا. فالخطر عظيم وشديد.

وكانوا في الجاهلية إذا أعسر المدين بالدين زادوا عليه وأجلوه مرة ثانية، حتى تتضاعف عليه الديون، فإذا حلّ الأجل قالوا: إما أن تقضي وإما أن تُربي. فيزيدون عليه المال، كلما حلّ ولم يسدده حتى يصير أضعافاً مضاعفة. والله جل وعلا ألغى هذا وقال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَقْعَلُوا فَاذْنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتِغُوا فَلََكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَغْلِبُكُمْ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ فالمعسر يُنظر ولا يُزاد عليه الدين، وإن أسقطه عنه فهذا خير ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٨٠).

والربا حرام سواء كان استهلاكياً أو كان استثمارياً؛ لأن بعض المتعاملين يقولون: الربا إذا كان استهلاكياً فإنه حرام، أما إذا

كان تنموياً وليس استهلاكياً، يعني صاحبه ليس محتاجاً وإنما يريد تنمية ماله فهذا لا بأس به، وإنما يحرم الربا الاستهلاكى فقط. وهذا ضلال وخطأ؛ لأن هذا استحلال لما حرّم الله، فالله جل وعلا لم يفصل بين الاستهلاكى والاستثمارى، حرمة مطلقاً ولم يفصل.

وبعضهم يقول: إن كان الربا بسيطاً فلا بأس، أما إن كان مضاعفاً وكثيراً فهذا هو الذي يحرم، ففيه فرق عندهم بين البسيط والمضاعف. وهذا أيضاً قول باطل؛ لأن الله حرّم الربا مطلقاً، وأما قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ فهذا بيان للواقع وليس تحديداً، وإنما هو بيان وتشنيع عليهم في أنهم يضاعفون الدين على المعسر حتى يبلغ أضعافاً مضاعفة من غير أن يستفيد المعسر، وليس معناه أن الربا غير المضاعف حلال.

وجاء أن الربا يُسمى بغير اسمه في آخر الزمان، فالآن يسمونه بالفوائد، لا يقولون الربا، وإنما يقولون فوائد بنكية أو استثمار. وتغيير الاسم لا يغير الحقيقة، والربا حرام ولو سُمي بغير اسمه. وكذلك لو كان بصورة البيع، وهي مسألة العينة، يجيء المحتاج يريد نقوداً فيقول له أبيع عليك سلعة بثمان مؤجل

وإياك إياك الربا فلدرهم أشد عقاباً من زناك بـ^(١)بُـ
وتمحق أموال الربا وإن نمت ويرو قليل الحِلُّ في صلق موعد^(٢)

أكثر من الحال، ثم أشتريها منك بـ^(١)بُـ وأعطيك ثمنها الحال.
وهذه مسألة العينة التي نهى النبي ﷺ عنها، وهي ربا، لكن
جعل البيع ستارة وحيلة إلى الربا، فهو أعطاه دراهم بدراهم أكثر
منها مؤجلة وجعل السلعة حيلة إلى الربا باسم البيع. جاء في
الحديث أنهم في آخر الزمان يستحلون الربا باسم البيع. وجاء
النهي عن بيع العينة لأنه ربا، وتسميته بيعاً إنما هو تغيير للاسم
وحيلة على الربا.

(١) هذا تحذير شديد، يعني احذره، فالدرهم الواحد من
الربا أشد من الزنا، على قبح الزنا وشناعة الزنا، فكيف إذا أخذ
أموالاً كثيرة ربوية؟

(٢) الله جل وعلا يقول: ﴿يَمَحُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِّي الصَّدَقَاتِ﴾
والحق: معناه إزالة البركة أو إزالة المال، فقد يتلف المال ويصاب

صاحبه بنكبات تتلف المال. وما أكثر اليوم النكبات والنكسات في التجارة والأموال بسبب الربا، يُسلط الله على الأموال ما يُتلفها، ويُسلط على الثمار ما يُتلفها. وهذا شيء مشاهد الآن بكثرة في الكوارث التي تتلف فيها الأموال، ويصبح الثري الغني فقيراً في لحظة واحدة، عقوبة من الله سبحانه وتعالى.

وإن بقي ماله ولم يتلف فإنه لا يستفيد منه، يُمحق الله بركته، فلا يستفيد منه ولا يتصدق منه ولا يزكي؛ لأنه يُحرم من الخير بسبب الربا، وإن تصدق منه لم يُقبل لأنه حرام، والله طيب لا يقبل إلا طيباً.

فالمال الكثير من الربا لا خير فيه، وأما المال القليل من الحلال فإنه مبارك وفيه خير كثير، ولو كان قليلاً فإن الله يُنزل فيه البركة والنفع العظيم لصاحبه، فتجدون المرابي لا يستفيد في حياته من ماله وإنما همه جمع المال ولا يستفيد، تجدد قلبه من أفقر القلوب، وتجده مُبغضا عند الناس، يبغضونه ويكرهونه، بخلاف المتصدق فإن الناس يحبونه ويشنون عليه ويدعون له، فهو محبوب عند الله وعند خلقه؛ ولهذا قال: ﴿يَمَحُقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِّي أَلْبَدَقَاتِ﴾

الصدقة يضاعفها الله لصاحبها ويبارك في ماله، وأما الربا فإنه محقوق وليس لصاحبه أجر عند الله بل عليه الإثم العظيم. والله جل وعلا ذكر آيات الصدقات إلى جانب آيات الربا كما في آخر سورة البقرة بعد آيات الربا قال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُبُلَةٍ ثَمَرَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾، إلى آخر الآيات. وفي أكثر من موضع من القرآن يذكر الربا ويذكر قبله أو بعده الصدقات؛ لبيان الفرق بينهما.

فالمرابي مسمي إلى المجتمع بمحتص دماء الفقراء والمحتاجين، ويأكل الثروات، فهو يأخذ ولا يُعطي، والمتصدق يُعطي ولا يأخذ، يُعطي الفقراء والمحتاجين وينفع المجتمع الذي يعيش فيه، فهو يعطي. الصدقات عطاء بذل وإحسان إلى الناس، وأما الربا فهو أخذ واستهلاك ولا ينتج منه فائدة لا لصاحبه ولا للمجتمع. ففرق بين الربا والصدقة ﴿يَمْحُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيهِ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾، ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبَا لِّيَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا

وأكله مع موكل مع كاتب فقد جاء فيه لعنهم مع شهيد^(١)
وإن تقرض شيئاً فندب مضاعف كمثلين إلا خمس بذل التجود^(٢)

يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا أُنْبِئْتُ مِنْ ذَكْوَرٍ تُرِيدُونَ وَجَدَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٢١﴾ فقارن بين هذا وهذا ترى الفرق العظيم.

(١) هذا مضمون الحديث، وهو قوله ﷺ: «لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه»^(١).

(٢) كونك تُقرض المحتاج أحسن من كونك تعطيه بالربا، لأنه لا يضيع لك شيء، المقرض منك يرجع إليك مالك، يستفيد منه المحتاج ثم يرد عليك مالك مع الأجر والثواب من الله عز وجل. وجاء في الحديث أن القرض كصدقة مرتين، المبلغ الذي تقرضه كأنك تصدقت به مرتين، فلك أجر الصدقة مرتين، هذا معنى كلام الناظم.

والقرض: معناه أن تدفع مالاً لمن يتنفع به ويرد بدله، وهو

(١) سبق تحريجه.

وإن تقترض أحسن وفاءً لمقرض فإن خيار الناس أحسن مردد^(١)

مستحب وفيه فضل عظيم.

وقوله: «كمثلين» يعني كالصدقة مرتين. «إلا خمس بذل التجود» الظاهر أنه يقصد أن الصدقة أفضل من القرض، القرض فيه فضل، ويرجع إليك مالك، أما الصدقة فهي أفضل، لأنه يرجع إليك الأجر فقط.

لعل هذا معنى قوله: «إلا خمس بذل التجود» كونك تجود وتعطيه صدقة أو تبرع أحسن من القرض، والقرض فيه خير أيضاً.

(١) هذا حث للمقترض أن يرد القرض، وأن يُحسن القضاء بأن يزيد ويعطي المقرض زيادة تبرعاً منه، فإن النبي ﷺ اقترض بكرة ورد بدله خياراً رباعياً، وقال: «خيركم أحسنكم قضاء»^(١).

(١) رواه البخاري في كتاب الوكالة، باب الوكالة في قضاء الدين، حديث رقم (٢٣٠٦).

وجاءه رجل من اليهود يطالبه بدين فلم يجد عند النبي ﷺ شيئاً، فتكلم على الرسول ﷺ، وهم الصحابة به، فقال: «دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً» ثم قال: «أعطوه» يعني اقضوا دينه من الإبل، قالوا: يا رسول الله، ما وجدنا إلا سناً خيراً من سنه، قال: «أعطوه إياه، فإن خيركم أحسنكم قضاء»^(١) فيجب على المقرض أن يرد القرض؛ لأن بعض الناس يتساهل في القرض ويتباطأ ويماطل وهذا لا يجوز، قال تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠]، فبادر برد القضاء هذا واجب عليك، وكونك تزيد هذا أحسن وأفضل، وإن رددت القرض من غير زيادة فهذا هو الواجب، والزيادة مستحبة، هذا ما لم تكن الزيادة مشترطة من المقرض، أما إذا شرط المقرض زيادة فهذا ربا، قال ﷺ: «كل قرض در نفعاً فهو ربا»^(٢)، فإذا كانت الزيادة مشترطة فهذا ربا، أما إذا لم تُشترط وإنما بذلها المقرض تبرعاً منه

(١) رواه البخاري في كتاب الهبة وفضلها، باب الهبة المقبوضة وغير المقبوضة... حديث رقم (٢٦٠٦).

(٢) انظر سنن البيهقي (٣٤٩/٥)، باب كل قرض جر منفعة فهو ربا.

ويكره الاستقراض للسيء الوفا وللسهل لا بأس وبالشارع اقتد^(١)
 ألا حبذا المال الحلال لمن هدي إلى البذل في أبواب بر معود^(٢)

فهذا من حسن القضاء، حث عليه الصلاة والسلام عليه وفعله.
 (١) يعني إذا كنت لا تعرف من نفسك الثقة في رد القرض فإنه يُكره لك أن تقترض، ويكره لصاحب المال أن يقرضك؛ لأن هذا تعريض للمال للتلف، فإذا عُرف إنسان في أنه سيئ الوفا، ومماطل فإنه يُكره إقراضه حفظاً للمال، وردعاً لهذا المماطل.

وقوله: «وللسهل لا بأس وبالشارع اقتد» أما للسهل الذي يرد القرض ولا يُماطل فهذا يحسن إقراضه، وفيه اقتداء بالنبي ﷺ، النبي ﷺ كان يقترض ويرد أحسن مما اقترض وهذا من حسن القضاء فاقْتَدَ بالنبي ﷺ في حسن القرض وفي زيادة الوفاء من باب الإحسان وحسن التعامل والمكافأة للمقرض.

(٢) هل الأفضل الغنى أو الأفضل الفقر؟ الأفضل الغنى لمن وفق في بذله، والإحسان على الناس وجاء في الحديث: «نعم

وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ومن خير بر المرء وقف مؤبد^(١)

المال الصالح للرجل الصالح^(١) الذي يُنفق والذي يُقرض والذي يوسع على الناس، فهذا كون المال عنده نعمة من الله عز وجل ويؤجر عليه، نعم المال الصالح للرجل الصالح.

أما المال الحرام فلا حبذا، المال الحرام عذاب على صاحبه إن تصدق به لم يُقبل منه، وإن مات كان زاده من النار، ويكون فائدته لغيره، ويكون هو عليه التعب في جمعه، وحفظه وتحصيله، ويكون النفع لغيره، كما يقولون: له الشوك ولغيره الثمر، وكذا لا خير في المال الحلال الذي يمسكه صاحبه عن الإنفاق وبذل المعروف، قال تعالى: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ [المعارج: ١٨].

(١) «وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء» كما قال النبي ﷺ لما قالوا له: سمع إخواننا الأغنياء ما نقول - يعني من الأذكار التي علمهم إياها بعد الصلاة، قالوا: سمعها إخواننا الأغنياء فصاروا

(١) رواه الإمام أحمد في المسند من حديث عمرو بن العاص، حديث رقم (١٧٣٠٩).

يقولون مثلنا - قال ﷺ: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»^(١).

وقوله: «ومن خير بر المرء وقف مؤبد» انتقل إلى الوقف يعني: الوقف خير من الصدقة، والوقف هو تحبيس الأصل وتسييل المنفعة، بأن لا يُباع ولا يوهب ولا يُنقل الملك فيه بل يبقى أصله ويُتصدق من غلته، هذا هو الوقف وفيه فضل عظيم، وهو الصدقة الجارية، قال ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»^(٢) فالصدقة الجارية هي الوقف يجري أجرها ونفعها على صاحبها بعد موته، ما دام هذا الوقف يُغل وينفع فإن أجره يجري لصاحبه وهو ميت، وهذا فضل عظيم، وما من الصحابة أحد له مال إلا وقف كما جاء في الأثر، طلباً للأجر، فالوقف فيه خير وينفع ويجري أجره على صاحبه وهو ميت.

وقوله: «وقف مؤبد» يعني محبس مسبل لا يُباع ولا يُورث

(١) رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة... حديث رقم (٥٩٥).

(٢) رواه مسلم في كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، حديث رقم (١٦٣١).

إذا انقطعت أعمال بر الفتى أتى إليه أنيساً عند وحشة مفرد^(١)
ومن أعظم المندوب عتق وخيره عبيد وعنه بل إماء لخرد^(٢)

ولا يُوهب، يعني يبقى ويُستغل في الخير، وكل ما خرج منه من خير فإن أجره لصاحبه، سواء كان من الأموال الثابتة كالعقارات، أو من الأموال المنقولة كالسيارات والسلاح وغير ذلك، فهذه كلها تُسمى بالوقف.

(١) إشارة إلى الحديث «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية» فالوقف لا ينقطع بالموت، وإنما يستمر ويؤنس صاحبه في القبر؛ لأنه يأتيه الأجر وهو مدفون في لحده تقرر به عينه، وهذا فضل عظيم.

(٢) لما فرغ من الوقف انتقل إلى العتق، والعتق: هو تحرير الرقيق، والله سبحانه وتعالى جعل العتق في الكفارات: كفارة القتل؛ وكفارة الظهار؛ وكفارة اليمين، وقال جل وعلا: ﴿فَلَا أَقْنَمَ الْعَقَبَةَ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُ رَقَبَةً ﴿١٣﴾ [البقرة: ١١-١٣]، فك

رقبة: إعتاقها، فالعتق معناه: إخراج المملوك من الرق إلى الحرية، وهذا فيه فضل عظيم؛ لأنه يمن على هذا المملوك الذي كان يجري مجرى الأموال يُباع ويُشترى يمن عليه فيصير حراً يتصرف بنفسه ولا يكون لأحد عليه ولاية، فهذا فضل عظيم، ولهذا جعل الشرع الولاء لمن أعتق، أي للمعتق ميراث عتيقه إذا لم يكن له وارث بفرض أو تعصيب، فالعتيق إن كان له ورثة بالفرض أو بالتعصيب، فميراثه لهم، وإن لم يكن له ورثة فإن إرثه للذي أعتقه، ولهذا قالوا: الولاء عصوبة سببها نعمة المعتق على رقيقه بالعتق.

وقد طعن أعداء الله وأعداء رسله من الكفار على الإسلام بأنه يبيح الرُّق ويستعبد الناس، والرُّق حكم شرعي شرعه الله حينما يستولي المسلمون على أولاد الكفار ونسائهم في الجهاد في سبيل الله؛ فإنهم يسترقون هؤلاء ولا يقتلونهم كما يقتل مقاتلة الكفار، ولهذا قال العلماء في تعريف الرُّق: إنه عجز حكمي يقوم بالإنسان سببه الكفر، ولم ينفرد الإسلام بهذا الحكم؛ بل كل الشرائع السماوية التي شرع فيها الجهاد شرع فيها الرُّق تبعاً للجهاد

في سبيل الله.

وإذا ثبت الرّق على شخص فإنه يستقر عليه وعلى ذريته ما تناسلوا، ولا يرتفع إلا بالعتق، وقد رغب الله في العتق وحث عليه؛ وجعله من أفضل الأعمال، لكنه اختياري وليس اجبارياً، وأما إذا كان الرّق سببه الغصب ونهب الذراري والنساء كما يفعل لصوص البشرية الذين يسترقون الصغار والنساء ويبيعونهم؛ فهذا اغتصاب واستعباد بغير حق، وهو من أعظم الجرائم والموبقات، فإن من الذين يكون الله خصمهم يوم القيامة: «من باع حراً فأكل ثمنه»، كما في الحديث الصحيح^(١) أما الرّق الشرعي فهو حكم الله سبحانه وتعالى، وله الحكمة البالغة في ذلك؛ ومن اعترض عليه كفر.

وبعض الكتاب الجهلة من المسلمين قد انطلت عليهم هذه الشبهة الكفرية، وصاروا ينكرون الرّق ويقولون: إن الإسلام لم يقره إلا من باب التدرج لمنعه، وهذا الكلام الباطل يخالف ما

(١) رواه البخاري في كتاب البيوع، باب إثم من باع حراً حديث رقم (٢٢٢٧)

ذكره الله في كتابه من ملك اليمين، فسماه ملكاً وأباح بيع المملوك وشراؤه والتسري بالمملوكة، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُفْوَاجِهِمْ حَفَظُونَ﴾ [المؤمنون: ٥-٦] فجعل جماع المملوكة مساوياً لجماع الزوجة في الإباحة وحفظ الفرج، وقد تسرى ﷺ. وهؤلاء الكفرة الذين ينكرون الرق الشرعي لا يستنكرون استرقاق الشعوب، ونهب ثرواتهم، وحبس حرياتهم الإنسانية ظلماً وعدواناً.

«وخيره عبيد» وخير العتق ما كان قوياً من العبيد وذو صلاح، فإذا اختار عبداً قوياً يكتسب لنفسه، وصالح في دينه، وأعتقه فهذا أفضل أنواع العتق، وإعتاق الذكر أفضل من إعتاق الأنثى وإعتاق الصحيح الشاب أفضل من إعتاق المريض أو كبير السن الذي لا يستطيع أن يكتسب لنفسه أو الفاسق الذي يُفسد هذا يكون عتقه ضرراً، فإذا أردت أن تُعتق فاختر عبداً قوياً يقدر على الاكتساب، وعبداً صالحاً يكون في عتقه خير ويتفرغ لعبادة الله عز وجل، ويكون لك أجر العتق، ومن أعتق رقبة فإن الله يعتقه بها من النار كل عضو من أعضاء العتق، يُعتق الله به عضواً

حقيق بأن تسعى لعتق معبد لتعتق من نار الجحيم وتقتدي^(١)
ونذب بلا خلف عتاقة ديسن قوي له كسب أمين التفرد^(٢)

من أعضاء المعتق من النار يوم القيامة. وقوله: «وعنه بل إماء لخرد» أي عن الإمام أحمد أن إعتاق الإماء أفضل من إعتاق العبيد، لضعف النساء عن العمل والخدمة ونقل الملك بين المالكين.

(١) فينبغي لك أن تعتق العبيد لأجل أن يعتقك الله من نار الجحيم كما في الحديث: «أن من أعتق عبداً فإن الله يعتقه به من النار»^(١) وتقتدي بالنبي ﷺ، أن النبي ﷺ كان يُعتق ويبحث على العتق.

(٢) كما سبق أن إعتاق الدين أفضل من إعتاق المتساهل في دينه، وكذلك إعتاق من له كسب ويستطيع أن يكتسب أفضل من إعتاق العاجز عن الكسب الذي يصبح عالة على الناس.

(١) رواه بمعناه البخاري في كتاب العتق، باب في العتق وفضله، حديث رقم (٢٥١٧).

فلا تك جماعاً منوعاً مكاثراً وسارع لبذل المال في الفرض وابتلي^(١)

(١) هذا تحذير من كون الإنسان يجمع المال ولا يستفيد منه لآخرته، والله جل وعلا يقول: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: ١٩]، يمنع ولا يتصدق من ماله فهذا لا يستفيد من ماله إلا الحساب يوم القيامة لأنه يُحاسب عليه، فالذي يجمع المال للتكاثر فقط لتضخم ثروته، هذا لا يحصل لنفسه خيراً، وإنما يحملها تكاليف يُحاسب عنها يوم القيامة، أما الذي يتصدق وينفق في طاعة الله ما دام على قيد الحياة، فهذا هو الذي يستفيد من ماله، ينفع وينتفع بخلاف الجموع المنوع، والنبي ﷺ قال لعائشة رضي الله عنها: «لا تُوعِي فُيُوعِي الله عليك»^(١) فالذي ينفق ينفق الله عليه، والذي يوعي الله جل

(١) رواه الإمام أحمد في المسند من حديث عائشة، حديث رقم (٢٤٥٥٨)، وهو في البخاري عن أسماء في كتاب الزكاة، باب الصدقة فيما استطاع، حديث رقم (١٤٣٤).

وعلا لا ينفق عليه، وجاء في الحديث أنه كل ما تطلع شمس يخرج معها ملكان فيقول أحدهما: اللهم عجل لمنفق خلفاً. ويقول الآخر: اللهم عجل لممسك تلفاً^(١). وهذا كما في قوله تعالى:

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبا: ٣٩]، فتجد الذين ينفقون ويطعمون الطعام وينفعون الناس تجد الخير يدر عليهم، وتجد البخلاء لا يحصلون على شيء إلا النكد والتعب، أما الذين ينفقون فالله يُسهل عليهم الرزق ويأتيهم من حيث لا يحتسبون، وهذا مصداق قوله ﷺ: «أنفق يُنفق عليك»^(٢).

إياك أن تكتسب المال الحرام فإنه يكون عليك حسابه وعذابه ويكون لغيرك نفعه، فأنت تشقى وهو يسعد به، فأنت تُحرم منه وتحمل مسئوليته ويكون لغيرك نفعه وفائدته ممن لم يتعب فيه.

(١) رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أَقْبَلَ وَاتَّقَى﴾... حديث رقم (١٤٤٢).

(٢) رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَكَاثَ غَرْثُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ حديث رقم (٤٦٨٤).

اكتساب الحلال من المال واجتناب الحرام وذم البخل

- وإياك والمال الحرام مورثاً لبأذله في البر تشق ويسعد^(١)
تعد لعمري أخسر الناس صفقة وأكثرهم غبناً وعضاً على اليد^(٢)
فبادر إلى تقديم مالك طائعاً صحيحاً شحيحاً رغبة في التزود^(٣)

(١) إياك أن تكتسب المال الحرام فإنه يكون عليك حسابه وعذابه ويكون لغيرك نفعه، فأنت تشقى وهو يسعد به، فأنت تُحرم منه وتحمل مسؤوليته ويكون لغيرك نفعه وفائدته ممن لم يتعب فيه.

(٢) إذا جمعت المال من حرام فإنك تعد أكثر الناس غبناً يوم القيامة، وأكثر الناس عضاً على اليد، يعني حسرة وندامة، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ [الفرقان: ٢٧]، فالنادم يعض على يديه من الندم، فكذلك الذي يكسب المال الحرام.

(٣) هذا إشارة للحديث الذي حث فيه النبي ﷺ على الصدقة ولما سُئل أي الصدقة أفضل؟ قال: «أن تتصدق وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى إذا بلغت

ولا تخش فوت الرزق فإلله ضامن لك الرزق ما أبقيك في اليوم والغد^(١)

الحلقوم قلت: لفلان كذا، وكان لفلان كذا^(١) فتصدق في حال صحتك، أما إذا أمسكت المال وجاءك الموت أو نزل بك مرضه تذكرت أن تتصدق فلا يمكنك ذلك، لأنه إذا نزل بك الموت يُحجر عليك؛ لأن المال صار للورثة وتُمنع من الصدقة، وتُمنع من التبرعات، حتى الإقرار بالدين تُمنع منه؛ لأنك متهم، فيُحجر على من حضره الموت، ولا يُترك يتصرف في ماله؛ لأجل حفظ الورثة فلا تنتظر هذه الساعة بل بادر ما دمت متمكناً من التصرف، تُنفق من مالك وتصدق وأنت صحيح الجسم، وأيضاً عندك رغبة في المال، أما إذا رخص عليك المال ورأيت أنك مفارق الدنيا تريد أنك تفرق المال؛ لأنك شعرت أنك مفارق الدنيا فهذا لا يمكن ولا تتمكن منه أيضاً لأنك تُمنع منه.

(١) لا تخشى أنك إذا تصدقت وأنفقت أن الرزق سيقبل بل

(١) رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب فضل صدقة الشحيح الصحيح، حديث رقم (١٤١٩).

ألا إن في الأموال في الأرض منحة كمنحة من يُجطي النوال ويحتدي^(١)
بها يعرف المرء السخي من الفتى الـ بخيل وفو الأطماع من ذي الترهـ^(٢)

يكثر الرزق بإذن الله؛ لأن الرزق بيد الله، وفي الأثر الإلهي «عبدني أنفق أنفق عليك»^(١) فلا تخشى الفقر.

(١) فالأموال عطية من الله سبحانه وتعالى ومنحة من الله سبحانه وتعالى فإذا أعطاك الله فأعط، وإذا نحللك الله فأنحل.

(٢) بالصدقة والإنفاق يُعرف الجواد والكريم ويُعرف البخيل واللتيم، فالذي لا ينفق هذا بخيل، والذي ينفق هذا يكون جواداً وكريماً، أمّا أنك تريد أن تكون جواداً وكريماً بدون نفقة وبدون بذل هذا لا يحصل، قال المتنبي:

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يُفقر والإقدام قتال
لا يُعرف السخي إلا بالإنفاق، ولا يُعرف الشجاع إلا
بالإقدام وعدم الخور والخوف.

(١) سبق تحريجه.

ويُعرف أرباب الأمانات عندهما وكل خؤون بالتصنع يرتدي^(١)

(١) وعند الأموال يُعرف الجواد من البخيل ويعرف الزاهد من الحريص على الأموال؛ لأنها امتحان، كما أنه عند الأموال يُعرف الأمين من الخائن. بعض الناس يكون عنده أمانة مهما أودعت عنده من المال أو صار لك عنده من الديون فإنه يُبادر بأدائها وحفظها لأنه أمين، وبعض الناس يغريه المال فيأكل أموال الناس بالباطل ويماطل ويسرق ويخون؛ لأنه يحب المال، وحب المال يحمله على الخيانة. أما التقى فهو وإن كان يحب المال؛ فإنه لا يُقدم حب المال على طاعة الله عز وجل، بل يُقدم طاعة الله على حب المال ﴿وَيُطِيعُونَ أَلْفَعَامَ عَلَىٰ حَبِّهِ مَسْكِينًا وَنَبِيًّا وَأَيُّبًا﴾ [الإنسان: ٨]، ﴿تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، وَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ الَّتِي بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ هَوَىَٰ بَيْنَ يَدَيْهِ لَشَدِيدٌ ﴿تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ الَّتِي بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ هَوَىَٰ بَيْنَ يَدَيْهِ لَشَدِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧]. فبهذا يُعرف الإنسان الباذل الذي يريد الخير من الإنسان الذي لا يريد الخير ولا يريد النفع للناس، يُعرف عند المال، والمال فتنة كما قال الله جل وعلا:

يُرى الناس أبواب التزهد حيلة ويسعى لتحصيل الحطام المزهد^(١)
 له وثبات في اكتساب حطامه ولو ملك الطوفان لم يسق من صدي^(٢)
 تعالى الكريم الله عن أن يرى له وليّ بخيل قابض الكف واليد^(٣)

﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [التغابن: ١٥].

(١) هذا الذي يخدع الناس يُظهر للناس التقى والصلاح وهو خائن في باطن أمره، ويُظهر للناس أنه أمين وهو خائن يأكل أموال الناس بالباطل إذا تمكن منها. فالأموال تكشف الناس، الأموال والأطماع تكشف الناس، تكشف الذي عنده تقى من الذي ليس عنده تقى. والأموال فتنة قل من ينجح فيها.

(٢) هذا كله وصف للخائن والبخيل، انه مهما أُعطي من المال فإنه لا يقنع بل يريد الزيادة، كما أنه لو عنده الطوفان من الماء لم يرو «من صدي» يعني من العطش، فالذي يجمع الدنيا مثل الذي يشرب ولا يروى من الماء، كل ما زاد شربه زاد عطشه ولو كان عنده الطوفان يعني الماء الكثير.

(٣) فالبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة، قريب من النار، وأما الجواد فهو قريب من الله قريب من الناس،

- فشر خلال المرء حرص وبخله من الله يقصيه فيا ويل مبعده^(١)
 وإن كريم الناس فيهم محبب قريب من الحسنى بعيد من الردي^(٢)
 يُغطي عيوب المرء في الناس جوده ويُخمل ذكر النابه البخل فابعد^(٣)
 فسارع إلى كسب المعالي ودع فتى توانى عن العليا لكسب مصدر^(٤)

بعيد من النار قريب إلى الجنة، وفرق بين الجواد والبخل.

(١) البخل يقصي البخل عن الله جل وعلا، فأبعد الناس عن الله البخل الذي يبخل بماله.

(٢) الكريم يحبه الناس ويألفونه ويطمعون في خيره، بخلاف البخل فإنهم يتعدون عنه ويبغضونه؛ لأنه لا خير فيه لهم.

(٣) حتى لو كان الجواد عنده عيوب فإن الجود يسترها ويغطيها، وأما البخل فإنه يعري الإنسان ويظهر عيوبه عند الناس.

(٤) بادر إلى العليا بإنفاق المال الذي أعطاك الله، قدمه

لأخرتك تجده عند الله سبحانه، ﴿وَمَا تَقْصِرُوا لِأَفْسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ نَجِدْهُ عِنْدَ اللَّهِ

هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠]. فالمال الذي تنفقه في طاعة الله يكون

فما المال إلا كالظلال تنقلا فبادر إلى الإنفاق قبل التشرّد^(١)
ولا تحسن البذل ينقص ما أتى ولا البخل جلاب الغنى والتزید^(٢)

لك يوم القيامة مدخراً تجده أحوج ما تكون إليه، أما المال الذي تحبسه فهذا تذهب وتتركه لغيرك، ويكون عليك حسابه وعقابه ولا تستفيد منه شيئاً.

(١) المال عرض زائل مثل ظل الشمس يتقل بسرعة ويزول بسرعة، تراه اليوم غنياً وغداً فقيراً، فالمال ما هو بثابت، كسم من غني افتقر وكم من فقير أغناه الله، فالمال دولة بين الناس يداوله الله بين الناس. وإذا كان كذلك فأنت بادر قبل أن يزول عنك المال، وانفع نفسك منه.

(٢) البذل في سبيل الله لا ينقص المال بل يزيده ويحل فيه البركة، قال سبحانه وتعالى: ﴿أَنفَقْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ: ٣٩]، وقال ﷺ: «ما نقص مال من صدقة»^(١) بل الصدقة

(١) رواه الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر، حديث رقم (٢٣٢٥).

ولا توعين يوعى عليك وأنفقن يوسع عليك الله رزقاً وترفد^(١)
 فلا تدعن باباً من البر مغلقاً تلاق غداً باب الرضى غير موصد^(٢)
 وتمليك مال المرء حال حياته بلا عوض يدعى هبات التجود^(٣)

تسبب له الزيادة والنمو والبركة.

وأما الإمساك فلا تظن إن الإمساك يزيد مالك بل ينقصه
 ويُسلط عليه الآفات والتلف ؟ والغنى غنى القلب ليس الغنى عن
 كثرة العرض، فمن الناس من هو غني القلب ولو كان ماله قليلاً،
 ومن الناس من قلبه فقير وإن كان ماله كثيراً، فهو فقير القلب.

(١) كما سبق أن من أنفق أنفق الله عليه ومن أوعى فإن الله
 يوعى عليه، يعني يمسك عنه الرزق كما قال ﷺ: « أنفق ينفق
 عليك »^(١).

(٢) أنفق في وجوه البر، لا تقتصر على نوع واحد من أجل
 أنك في يوم القيامة تُفتح لك أبواب الجنة ولا توصل أمامك.
 (٣) الهبة هي التبرع بتمليك ماله غيره بدون عوض، وهي

(١) سبق تخريجه.

نوعان: هبة تبرع، وهبة الثواب هي التي يهديها فيقصد من ورائها أن يرد عليه أحسن، كالذين يهدون إلى الملوك والرؤساء والأغنياء، وضابطها إن كانت الهدية من الأعلى إلى الأدنى فهي هبة تبرع، وكذلك من المساوي، وإن كانت من الأدنى إلى الأعلى فهي هبة ثواب، وهي في حكم البيع، وهدية التبرع فيها فضل عظيم، وقد حث النبي ﷺ عليها وقال: «تهادوا تحابوا»^(١) قال: «إنها تسل السخيمة»^(٢) يعني البغضاء من القلب، فالتهادي بين الأخوة له أثر طيب لأنه يزيل البغضاء ويسورث المحبة، وقال ﷺ: «يا نساء المسلمين لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة»^(٣) فالهدية وإن كانت قليلة فإنها سنة وفيها فضل، وكان النبي ﷺ يقبل الهدية، وكان يهدي عليه الصلاة والسلام ويهدي إليه، فالهدية باب عظيم من أبواب المحبة والتآخي بين المسلمين، ولو

(١) رواه الإمام مالك في الموطأ في كتاب الجامع، باب ما جاء في المهاجرة، حديث رقم (١٦٨٥).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (١٤٦/٢)، حديث رقم (١٥٢٦).

(٣) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب لا تحقرن جارة لجارتها، حديث رقم (٦٠١٧).

وتلك لعمرى منحة مستحبة تؤلف ما بين الورى مع تبعد^(١)
تسل سخيمات القلوب وتزرع الـ حمجة فيها للفتى المتجود^(٢)

كانت قليلة فإن لها تأثيراً.

ويهدي الإنسان «حال حياته» يعني أن يكون المتبرع في حال الحياة، أما إن كان من بعد الموت فهي وصية، وهذا هو الفرق بين الهبة والوصية، الهبة في حال الحياة، والوصية من بعد الموت.

وتكون الهدية «بلا عوض» أما إذا كانت بعوض فهي هبة الثواب، وهذه تكون من الأدنى إلى الأعلى، وهذه لا يقصد بها ما يقصد بهية التبرع، إنما يقصد بها الطمع، كالذين يهدون إلى الأكابر والملوك والأغنياء.

(١) فائدتها أنها تقرب بين القلوب المتباعدة وهي سنة لأن النبي ﷺ أمر بها وفعلها.

(٢) وفائدتها أيضاً كما في الحديث أنها تسل السخيمة يعني الكراهية والبغضاء من القلوب، وتورث المحبة.

وتخصيص ذي علم بها وقراءة أبر ومن باهى بها أكره وفند^(١)

(١) والهدايا تتفاضل فالهدية لطلبة العلم لا سيما المحتاجين منهم أفضل من الهدية لغيرهم، لما فيها من الإعانة على طلب العلم والتشجيع على طلب العلم، هذا بالنسبة للهدية لطالب العلم، والهدية للقريب أفضل من الهدية لغيره، لما فيها من صلة الرحم.

القضاء وآداب اللباس والنوم ولبس الصوف والحرير^(١)

وكن عالماً أن القضاة ثلاثة فقاض قمين بالنعيم المخلد^(٢)

(١) القضاء هو بيان الحكم بين الناس مع الإلزام به، والفرق بين القضاء والفتوى أن الفتوى هي: بيان الحكم من غير إلزام، وأما القضاء فهو: بيان الحكم الشرعي مع الإلزام به، والقضاء ضروري للمسلمين لأجل إيصال الحقوق إلى أصحابها ومنع الظلم والتعدي وإقامة العدل بين الناس، وإقامة الحدود وغير ذلك من الأمور العظيمة التي هي من صلاحيات القاضي، فالقاضي له صلاحيات كثيرة كلها في مصلحة الإسلام والمسلمين، فلا يصلح الناس بلا قاض، فمنصب القضاء أمر ضروري ويجب على ولي الأمر أن يختار للقضاء أحسن من يجدهم، كل وقت بحسبه الأمثل فالأمثل في كل زمان بحسبه، قال تعالى: ﴿فَأَقْضُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ المهم إيجاد القضاء في الأمة لما فيه من المصالح العظيمة.

(٢) القضاة ثلاثة كما في الحديث الصحيح « قاض في الجنة،

وذلك من بالحق أصبح عالماً ويعدل في حكم القضايا فيهتدي^(١)

وقاضيان في النار»^(١) القاضي الذي في الجنة هو الذي علم الحق وحكم به، هذا في الجنة؛ لأنه قضى بالحق وأقام العدل ومنع الظلم بين الناس.

وقاض علم الحق وحكم بغيره وهذا في النار.

والثالث: من قضى بجهل، فهذا في النار؛ لأنه حكم بجهل ولا يصلح أن يتولى القضاء. فهذا فيه بيان أهمية القضاء وأنه منصب عظيم، وأن فيه الأجر لمن قام به على الوجه المطلوب حسب الإمكان، وفيه الإثم العظيم لمن فرط فيه أو ضيع.

(١) وهو الذي عرف الحق وحكم به. «فيهتدي» لهذين الشرطين، أن يكون عالماً بالحق، وأن يحكم به، فيكون من أهل الجنة.

(١) رواه البخاري في كتاب استتابة المرتدين.. باب قتل من أبي قبول الفرائض... حديث رقم (٦٩٢٤).

- وقاض بحكم الحق أصبح عالماً ولكنّه فيه يَجُورُ ويعتدي^(١)
 وآخر يقضي جاهلاً فكلاهما له النار في نص الحديث المسند^(٢)
 وكل جهول بالقضاء فإنه حرام عليه فليحذر ويوعد^(٣)
 فخذ في سبيل السلامة واجتنب تولي القضاء واحفظ لنفسك وارْتَدِ^(٤)

(١) هذا الثاني الذي في النار، الذي عرف الحق وجار، حكم بخلافه فجار وظلم، قال تعالى: ﴿بَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاتَمَّكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦] هذه وصية الله لداود عليه السلام، وهي وصية لغيره من القضاة.

(٢) هذا هو الثالث وهو الذي يقضي بجهل وغير علم، وهذا ينطبق على كل من حكم بين الناس بجهل، كرؤساء القبائل، الذين يسمونهم العوارف.

(٣) الجاهل يحذر من الدخول في القضاء؛ لأنه متوعد بالنار، وربما يضيع الحقوق على الناس، ويقيم الجور بين الناس.

(٤) السلامة من القضاء خير بلا شك، كون الإنسان يسلم

فكل ولايات الأنام ندامة سوى من وقى الله المهيمين في غد^(١)

ولو كان عالماً، السلامة لا يعدلها شيء، ولهذا تورع كثير من الأئمة كالإمام أبي حنيفة وغيره؛ تورعوا عن منصب القضاء، وكذلك الإمام مالك، وهذا إذا كان يوجد في الأمة من يصلح للقضاء فإنه لا يتعين عليه بل ينبغي له أن يحاول السلامة، أما إذا لم يكن هناك غيره ولا أصلح للقضاء منه فهذا يتعين عليه أن يقبل؛ وحتى ولو لم يطلب منه ينبغي أن يتقدم هو ويطلب من الإمام أن يوليه لأجل إقامة العدل بين الناس، كما قال يوسف عليه السلام ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا﴾ فإذا عرف من نفسه الكفاية والأمانة وليس هناك أحد يقوم بالواجب، فإنه يجب عليه ويتعين عليه.

(١) كون أن الإنسان لا يتولى شيئاً من أمور الناس أحسن، إلا إذا اضطر إليه ولم يوجد غيره، أما السلامة فلا يعدلها شيء، أخبر النبي ﷺ: أن الإمارة تكون ندامة يوم القيامة، وقال لعبد الرحمن

وحسب فتى يرجو السلامة زاجرا سؤال عن المرعي فافقه تسدد^(١)

بن سمرة: « يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة فإنك إن سألتها وكلت إليها، وإن لم تسألها أعنت عليها »^(١) فالذي يسأل الولاية في غير الحالة التي ذكرنا حالة الاضطرار فإنه يخلى بينه وبينها ولا يعان من الله عز وجل، أما إذا ابتلي بها وطلبه ولي الأمر وأمره بها، فهذا يعان عليها.

(١) يكفيك في التحذير من الولايات أن النبي ﷺ قال: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته يوم القيامة»^(٢) فأنت إذا توليت شيئا تكون راعياً، يسألك الله عز وجل عنه يوم القيامة، فالوظائف مسئولية، وأمانة يقول الله جل وعلا للولاة والأمراء ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ والمراد بالأمانات هنا المناصب أن تسندوها إلى أهلها الذين يقومون بها، فهي أمانة،

(١) رواه البخاري في كتاب الأحكام، باب من لم يسأل الإمارة أعانه الله عليها، حديث رقم (٧١٤٦).

(٢) رواه البخاري في كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، حديث رقم (٨٩٣).

أما عمر الحبر المسدد قائل ألا ليتني أنجو كفافاً من الردي^(١)
وكن عالماً أن القضاء فضيلة وأجر عظيم للمحق المؤيد^(٢)
لأمر بمعروف وكشف ظلامة وإصلاح ذات الين مع زجر معتد^(٣)

والوالي راع ومسئول عن رعيته.

(١) هذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخليفة الراشد المحدث الذي ملأ الدنيا عدله وقوته وجهاده رضي الله عنه، لما مدحوه عند الوفاة يريدون أن يوسعوا عليه وهو يعالج سكرات الموت، وقال: «ليتني أنجو كفافاً لا علي ولا لي»^(١) هذه كلمته رضي الله عنه.

(٢) القضاء من قام به على وجهه - بأن كان عالماً وقضياً بالعدل - يكون في الجنة كما قال النبي ﷺ وله أجر عظيم، لأنه يعدل بين الناس ويحكم بين الناس بالحق والشرع.

(٣) هذه مصالح القضاء.

الأولى: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمن صلاحيات

(١) رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب ما جاء في قبر النبي وأبي بكر وعمر... حديث رقم (١٣٩٢).

القاضي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنه سلطان، والثانية: كشف الظلم ومنع التعدي.

الثالثة: من فضائل القضاء أن القاضي يصلح بين المتباغضين، ويسوي النزاع بينهم ويرضون ويذهب ما في أنفسهم بعضهم على بعض، الرابعة: زجر المعتدين. فالقاضي يحقق الله به العدل بين الناس، فيكون له أجر عظيم إذا أخلص النية لله وقام بأعباء القضاء، فليس القضاء مجرد الفصل في المنازعات فقط، بل هذه جزئية من أعماله، وعليه أعمال كثيرة، وكان هذا عمل القضاة إلى وقت قريب؛ فالقضاة كانوا يقومون بهذه الأعمال. أما الآن فقل من القضاة من ينتبه لهذه الأمور وإنما يداوم وقت الدوام فقط ويترك الناس، وهذا سيئاً يوماً عن رعيته، لأن هؤلاء رعية له، مسؤول عنهم يوم القيامة، فيا ليت القضاة يتنبهون لهذا الأمر ولا يكونوا مثل سائر الموظفين، ولا يعرفون في البلد، ولا يدرسون، ولا يفتون السائل؛ فهذا لا يصلح منهم، فالناس بحاجة إلى من يرشدهم.

إذا بذل الجهد المحق إن يصب يفرز بأجرين والمخطي له واحد قد^(١)
وحظر عليه الارتشا وقبوله وأنت لدفع الظلم فارش لتفتدي^(٢)

(١) هذا كما في حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد وأخطأ فله أجر واحد»^(١) يكون في الجنة إذا اجتهد في القضية وبذل جهده وحكم بها، فإن أصاب الحق فله أجران، أجر الاجتهاد، وأجر الإصابة، وإن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد، أجر الاجتهاد، والخطأ مغفور، لأنه لم يتعمده.

(٢) الرشوة هي ما يعطاه الحاكم من أجل أن يحكم للمعطي، سميت رشوة من الرشاء وهو الحبل الذي يستخرج به الماء من البئر، فكان هذه الرشوة رشاء يراد استخراج الحكم بها، كما يستخرج الماء من البئر، وهذه هي السحت، الذي ذم الله عليه اليهود، قال: ﴿ أَكَلُوا لِّلْسُحْتِ ﴾ ولعن النبي ﷺ الراشي

(١) رواه البخاري في كتاب الاعتصام، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ. حديث رقم (٧٣٥٢).

والمرتشي^(١)، فدل على أن الرشوة كبيرة من كبائر الذنوب، وجريمة تفسد الأحكام، وتفسد في البلدان ويكون صاحب الحق ذليلاً، ويكون المبطل قوياً بسبب الرشوة، ففيها مفسد عظيمة، يهان الحق ويرفع الباطل، وتعطل الأحكام، ويحكم بالجور بسبب الرشوة، وكذلك الرشوة هي ما يدفع للمسؤول، سواء كان قاضياً أو موظفاً، أو مديراً، أو عاملاً على زكاة، أو جايياً، كل مسؤول فلا يجوز له أن يأخذ الرشوة، بل عليه أن يقوم بالعمل بدون رشوة، لأنه موظف يعطى راتباً من بيت المال، ومؤتمن على هذا العمل، وما فشت الرشوة في مجتمع إلا فسد، وتعطلت أموره، فالرشوة جريمة كبيرة وسحت وحرام، ما انتشرت في مجتمع من المجتمعات إلا دب إليه الفساد ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والرشوة ملعون من دفعها وملعون من أخذها نسأل الله العافية. وإذا لم تحصل على حقك إلا بدفع الرشوة فهل تجوز فداء

(١) رواه الترمذي في كتاب الأحكام، باب ما جاء في الراشي والمرتشي في الحكم، حديث رقم (١٣٣٦)، وأبو داود في كتاب الأقضية، باب في كراهية الرشوة، حديث رقم (٣٥٨٠).

ويكره لبس فيه شهرة لا بلس وواصف جلد لا لزوج وسيد^(١)

لحقك أن ترشي لثلا يضيع؟ الناظم يقول: لا بأس، لأن هذا من الافتداء، افتداء الحق لثلا يضيع، ويكون مباحاً للدافع ولكنه حرام على آخذه، هو رشوة في حق الآخذ وفدية في حق الدافع، ولكن القول الثاني وهو الراجح أنه لا يجوز أيضاً، لا تجوز الرشوة بحال من الأحوال؛ لأن النبي ﷺ لعن الراشي والمرشي وهذا عام، ولو رخصنا للناس في هذا فشت الرشوة وتسلبت الظلمة، فيجب منع الرشوة مطلقاً، عملاً بعموم الحديث^(١).

(١) لما انتهى من القضاء وأحكامه انتقل إلى أحكام اللباس، واللباس من نعمة الله عز وجل يجمل الهيئة ويستتر العورة، ولهذا قال جل وعلا: ﴿يَبْنَىءَ آدَمَ قَدْ أَرْكَأَ عَلَيْكَ لِبَاسًا يُؤَرِّى سَوَاءَ تَكُمُ وَرِيشًا﴾

(١) أحكام القرآن للجصاص ٨٦/٤ فتح الباري ٢٢١/٥ تحفة الأحوذى ٤٧١/٤ المغني ١١٨/١٠ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٨٦/٣١ روضة الطالبين ١٤٣/١١.

يعني زينة، زيادة على ستر العورات فيه زينة وجمال، ثم لما ذكر اللباس الحسي نبه على اللباس المعنوي فقال: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ خير من لباس الثياب، وبالمناسبة أن الله لما ذكر اللباس الحسي ذكر اللباس المعنوي تنبيها للناس، فاللباس الكامل هو لباس التقوى، أما الذي عليه ملابس وليس عنده تقوى فهو عار، كما قال الشاعر:

إذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى تقلب عريانا وإن كان كاسيا
ولهذا قال جل وعلا: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَتَكَزَّوْذُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ لما أمر بالزاد للسفر الحسي أمر بالزاد للسفر المعنوي، وهو سفر الآخرة، تزودوا، يعني في أسفاركم ولا تخرجوا بدون زاد، ثم قال: ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ تذكروا أن هناك سفرا آخر وزادا آخر، سفر الآخرة وزاده التقوى، فهذا بالمناسبة؛ فاللباس نعمة من الله عز وجل، ولكن الشيطان حريص على كشف عورات بني آدم، حريص على أن يتعرى الناس ويكشفوا عوراتهم، لما في كشف العورات من الوسائل إلى الفواحش

والمفاسد واستباحة الفروج للرجال والنساء، فالشيطان يحرص دائماً على كشف العورات، وعلى ترك اللباس المحتشم، خصوصاً على النساء ويساعده شياطين الإنس والجن الذين يدعون إلى العري وإلى كشف الحجاب، وإلى خروج المرأة بزيتها، كل هذا من الشيطان، الشيطان أمر أهل الجاهلية فتعروا في الطواف، ويظنون أن هذا يرضي الله وأنه قربة إلى الله، يقولون: ما نلبس ثياباً عصينا الله فيها، هذا من شدة الورع بزعمهم، قال لهم الشيطان: لا تطوفوا بثياب قد عصيتم الله فيها، من وجد ثوباً لغيره من أهل الحرم يلبسه، ومن لم يجد فإنه يتعري، زين لهم الشيطان هذا والعياذ بالله فأنكر الله عليهم فقال: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا﴾ والفاحشة هنا كشف العورات، فستر العورة نعمة من الله عز وجل، ومنة من الله، وشياطين الإنس والجن دائماً وفي كل وقت ينادون بكشف العورات والتعري للرجال والنساء، ولكن للنساء أشد، كما في وقتنا الحاضر، وكما تعلمون ما ينادي به الكفرة والفسقة وشياطين الإنس والجن من تعري النساء، يقولون هذه حرية المرأة، هذه

حقوق المرأة، حقوق المرأة عندهم أنها تتعري وأنها تخلط الرجال،
وأنها تسافر بدون محرم، وأنها تخلو مع الرجل، يقولون أنتم
تسيئون الظن بالناس، ومعنى هذا أن ما في الكتاب والسنة من
الأوامر سوء ظن من الله ومن رسوله ﷺ بالناس، فيقولون
تسيئون الظن بالناس، الأصل الثقة وأنتم عندكم غلو وتطرف،
لماذا تحجرون على الناس، لماذا تأمرون بالحجاب، لماذا تمنعون
المرأة من السفر وحدها، لماذا.. لماذا إلى آخره، هذه دعوة شياطين
الإنس والجن في كل مكان وزمان، كفى الله المسلمين شرهم، ورد
كيدهم في نحورهم.

فالملايس نعمة من الله، لكن الملايس لها آداب ينبغي للمسلم
أن يراعيها.

أولاً: لا يلبس لباس الشهرة، ولباس الشهرة هو اللباس
الذي يخالف عادة البلد، وفي الحديث «من لبس ثوب شهرة،
ألبسه الله لباس مذلة يوم القيامة»^(١) فلا يلبس الإنسان لباساً
يخالف ما عليه البلد، ما دام أن أهل البلد يلبسون اللباس الشرعي

(١) رواه أبو داود في كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة، حديث رقم (٤٠٢٩).

وإن كان يدي عورة لسواهما فذلك محظور بغير تردد^(١)

والمحتشم فلا تخالفهم في هذا لأن هذا شهرة.

النوع الثاني مما يحرم لبسه: الذي يصف البشرة يعني لا يستر ما وراءه، لشفافيته يرى من ورائه لون الجلد، هذا لا يجوز لبسه لأنه غير ساتر كما في الحديث: «نساء كاسيات عاريات»^(١) يعني يلبسن لباسا لا يستر.

إلا إن المرأة تلبس عند زوجها اللباس الرقيق الذي لا يخفي ما وراءه، وكذلك المملوكة تلبسه عند سيدها؛ لأن لسيدة أن يتسرى بها.

(١) إن كان الشفاف يدي العورة فهذا محظور أي محرم، «لغيرهما» يعني لغير الزوج والسيد، «بغير تردد» يعني بغير شك في تحريمه. فاللاتي يظهرن بالبسة شفاقة لا تستر أو البسة قصيرة، أو سافرات الشعور والوجوه والأيدي والأرجل، هؤلاء يفعلن حراما.

(١) رواه مسلم في كتاب اللباس والزينة، باب النساء الكاسيات... حديث رقم (٢١٢٨).

وخير خلال المرء جمعا توسط الـ أمور وحال بين أردى وأجود^(١)
ويحرم لبس فيه حي مصور طرازا وصبغا في أصح التردد^(٢)

(١) خير اللباس ما كان متوسطا، لا تلبس الفاخر لأن هذا فيه إسراف وفيه مخيلة، ولا تلبس الردي الخلق المتمزق، أو النوع الردي من الأقمشة وأنت قد أغناك الله لأن هذا كفر للنعمة، البس المتوسط الجميل، «الله جميل يحب الجمال» وإذا أنعم الله نعمة على عبده أحب أن يرى أثرها عليه، فيتوسط المسلم، لا يلبس الفاخر الغالي الثمن، لأن هذا فيه إسراف، ولا يلبس الردي لأن هذا فيه كفران للنعمة، فلبس المتوسط، وخير الأمور أوسطها في كل شيء، في اللباس وفي غيره. ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ ﴿٧٧﴾ هذا هو الاعتدال، والوسطية في كل شيء مطلوبة.

(٢) ثالثا من الملابس المحرمة: لبس ما فيه صور حيوانات، فلا يلبس الإنسان لباسا فيه صورة ذات روح، لأن النبي ﷺ لعن

المصورين، وأخبر أنهم أشد الناس عذاباً يوم القيامة^(١)، فلا تحمل شيئاً محرماً، ويحرم استعمال الصور في البيوت، سواء على الستور أو على الجدران أو بالبراويز وتعليقها بالجدران، كل هذا حرام، ولا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة، أي ملائكة الرحمة، بعض الناس يأخذها منظرأً، وبعض الناس يأخذها للذكريات كما يقولون، وهذا حرام، وما هلك قوم نوح إلا لما صوروا الصالحين وعلقوا صورهم على المجالس، وآل بهم الأمر إلى أن عبدوها من دون الله، فالتصوير سبب للشرك، لاسيما صور المعظمين كالأمراء والعلماء والملوك وصور الصالحين هذا سبب للشرك، فالتصوير وسيلة من وسائل الشرك، كما حصل لقوم نوح، وحصل لقوم إبراهيم، جماعة النمرود كانوا يصنعون التماثيل على صورة الإنسان والحيوان، وحصل لبني إسرائيل لما صور لهم السامري العجل فعبدوه من دون الله، فالتصوير سبب للشرك، ولو كان

(١) رواه البخاري في كتاب الطلاق، باب مهر البغي، والنكاح الفاسد، حديث رقم (٥٣٤٧)، ورواية أنهم أشد الناس عذاباً، رواها البخاري في كتاب اللباس، باب عذاب المصورين يوم القيامة، حديث رقم (٥٩٥٠).

الناس الآن يعلمون أن الشرك محرم، وأن عبادة غير الله لا تجوز، فسيأتي جيل جاهل فيما بعد، وإذا وجدوا الذين قبلهم يستعملون الصور ويرسمونها ويعلقونها، فيقول لهم الشيطان: ما عملوها إلا للعبادة، مثل ما قال لقوم نوح، فنحن نسد وسيلة للشرك.

العلة الثانية: أن التصوير فيه مضاهاة لخلق الله، فالمصور يحاول أو يوجد صورة تشبه الصورة التي خلقها الله عز وجل، ولذلك يقال له يوم القيامة أحى ما خلقت، ويكلف أن ينفخ الروح في الصورة التي صورها في الدنيا ويعذب بها في نار جهنم، ويقال له: أحى ما خلقت، من باب التعجيز له، لأنه لا يحيي إلا الله ولا ينفخ الروح إلا الله عز وجل، فالتصوير ليس بالأمر الهين، وإن سموه أنه من الفنون وأنه من النشاط الفني وما أشبه ذلك، ولذلك الشيطان الآن أغرى الناس بالتصوير في كل شيء، لأن الشيطان يغريهم بهذا، لما نهى الله ورسوله عنه، الشيطان يتسلط على العباد لمخالفة النهي، وإلا ماهي مصالحهم من الصور هذه؟ وأشد من ذلك أنهم يصورون النساء الجميلات سافرات للفتنة. وهذه علة ثالثة في التصوير، وهي أن التصوير سبب للفتنة

وانتشار الفاحشة؛ لأن صور النساء الجميلات يسبب النظر فيها، ثم يؤول إلى أن تدخل الشهوة في نفس الناظر، وتكون الصورة هذه كالقوادة التي تقوده إلى الفاحشة، فالتصوير فيه محاذير وليس فيه نفع أبداً، اللهم إلا الصور الضرورية التي تصور للأمر الجنائية، هذه ضرورية والضرورة تبيح المحظور، ومثل تصوير البطاقة، وتصوير رخصة القيادة من أجل معرفة الشخص، وتطبيق صورته عليه لو حصل منه إجرام، هذه ضرورية يجوز عملها للضرورة، أما غيرها من باب الفن، أو من باب المناظر، أو من باب الذكريات فكل ذلك غير جائز.

أما صور ما ليس فيه روح كالشجر والأنهار، والجبال، والأشجار، هذا لا بأس به.

وقوله: «طرازاً وصبغاً» يعني سواء كانت الصورة مجسمة، أو كانت رسماً على الورق أو على الثوب، أو ملتقطة بالآلة الفوتوغرافية، المعنى واحد، كله صورة، فلا يجوز عمل الصور ولا إلصاقها بالثياب ولبس الثياب التي هي فيها، لأن هذا حمل للصورة واستعمال للصورة، وترويج للصورة فلا يجوز هذا.

وتكره في ستر وسقف وحائط ولا بأس في موطئها والموسد^(١)

(١) لا تجعل التصاوير في ستر، أو ديكور على الجدار، لأن النبي ﷺ لما أراد دخول حجرة عائشة، ورأى فيها قراما وضعت على سهوة في الجدار، يعني على فرجة في الجدار، وكان في هذا القرام تصاوير؛ فالنبي ﷺ امتنع من الدخول، وتغير وجهه ﷺ، وأبى أن يدخل حتى هتك الستر وجعل وسائل فعند ذلك دخل ﷺ^(١). فلا يجوز تعليق الصور سواء في الجدار أو في السقف، أو على الأبواب، والواجب طمس الصورة، قال ﷺ: «لا تدع صورة إلا طمسها، ولا قبرا مشرفا إلا سويته»^(٢) وإن لم يكن لك سلطة، فإنك تنصح صاحب البيت بأن يطمسها ويزيلها.

وقوله: «ولا بأس في موطئها والموسد» أما إذا كانت الصورة ممتنة تداس، ويجلس عليها، ويوطأ عليها ويتكأ عليها فلا بأس

(١) رواه البخاري في كتاب اللباس، باب كراهية الصلاة في التصاوير، حديث رقم (٥٩٥٩).

(٢) رواه مسلم في كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر، حديث رقم (٩٦٩).

ويكره للمرء السجود بوجهه على صورة قد صورت في عهد^(١)
بذاك حفيد المجد أفتى لشبهه بعباد أصنام على غيرها اسجد^(٢)
ويكره ما فيه صليب مصور وهذا جميع للرجال ونهد^(٣)

لأنها ممتحنة. لأن النبي ﷺ لما هُتِكَ السُتر وجُعِلَ وسائد دخل،
واتكأ عليه عليه الصلاة والسلام.

(١) يكره للمسلم أن يصلي وأمامه صورة منصوبة، لأن
هذا يشبه عبادة الأصنام، فلا تستقبل الصورة وأنت تصلي ولا
تسجد عليها.

(٢) «حفيد المجد» المجد هو عبد السلام بن تيمية صاحب
المنتقى، جد شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية - رحم الله
الجميع - أفتى بأنه لا يسجد على الصورة.

(٣) الصليب يزعم النصارى أنه صورة المسيح عليه السلام
لما قتله اليهود وصلبوه على الخشبة، وهذا كذب، لأن المسيح عليه
السلام ما قتل ولا صلب قال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ
فَهُمْ﴾ فالمسيح أنجاه الله منهم، وإنما قتلوا رجلاً يشبهه، ظنوا أنه

هو فقتلوه وصلبوه، فالقتول والمصلوب ليس هو المسيح، والذين زعموا أنهم قتلوه هم اليهود، ومن غباوة النصارى أنهم يعبدون الصليب، وكان المفروض إنهم يكسرون الصليب لأنه عار عليهم أن يقتل نبيهم ويصلب، والذي أغراهم بعبادة الصليب رجل يهودي اسمه بولس، ادعى الإيمان بالمسيح، وأدخل الوثنية على النصارى في دينهم، ومنها عبادة الصليب.

فلا يجوز استعمال الصليب على الملابس ولا على أي شيء، ويجب إتلافه لأنه شعار النصارى وشعار الوثنية، فيجب إتلاف الصليب، والنبي ﷺ ما كان يترك في بيته شيئاً فيه تصاليب إلا نقضه وهو أشد من الصورة، لأنه شعار النصارى وشعار الشرك ولبس ما فيه الصليب حرام على الرجال والنساء، النصارى يلبسون الصليب على صدورهم، ولا يكتفون بوضعه على الجدران، بل يلبسونه على صدورهم، فالمسلم إذا لبس شيئاً فيه صليب تشبه بالنصارى في حمل الصليب فيجب الحذر من هذا، ويجب محاربة الصليب، وطمس الصليب ونقضه.